الأسس المنهجية لنجاح البحوث العلمية في العلوم الإنسانية

جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ

المناهج المساعدة: المنهج الإحصائي وآليات استعماله في البحث التاريخي نموذجا

Auxiliary methods: The statistical method and its mechanisms of application in historical research as a model

د.عايدة حباطي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

habbati.aida@gmail.com

الملخص:

إن استحضار الماضي في البحث التاريخي، يستدعي اعتماد مناهج عديدة متداخلة؛ كالوصفي، التحليلي، الاستقرائي والمقارن؛ كطرائق تقود الباحث إلى نتائج علمية موضوعية لحد كبير بعيدا عن الذاتية وشخصنة الأحداث. إلى جانب مناهج مساعدة أخرى ومن بينها المنهج الاحصائي أو العددي على اختلاف مسمياته، الذي شكل ثورة حقيقة على الكتابة التاريخية الكلاسيكية التي تعرض الواقعة التاريخية وفق منهج وصفي سردي، وبهذا الانفتاح لأحد أهم العلوم الإنسانية على العلوم العقلية، يكون قد قاد البحث التاريخي إلى الدقة والابتعاد على التكهنات.

الكلمات المفتاحية:

البحث العلمي، المناهج العلمية، المنهج الإحصائي، البحث التاريخي

Abstract :

In historical research, drawing upon the past necessitates the adoption of several interconnected methodologies, such as descriptive, analytical, inductive, and comparative approaches. These methods

guide the researcher to largely accurate and objective scientific conclusions, free from subjectivity and the personalization of events. Among these methodologies is the statistical or numerical method, under its various names, which constituted a true revolution in classical historical writing that presented historical events through a descriptive and narrative approach. This opening of one of the most important humanities disciplines to the rational sciences has led historical research toward accuracy and away from speculation.

Keywords:

Scientific research, scientific methods, statistical methodology, historical research

مقدمة:

ارتبط التفكير العلمي منذ القدم بآليات وطرق تضبط لدى أسلوب البحث والوصول إلى الحقيقة ونتائج دقيقة وفق منهجية علمية تُفضي بالكتابة إلى بحث أكاديمي علمي. وعادة ما تقترن دقة النتائج بالبحوث التكنولوجية والتقنية، التي تتبع مناهج علمية قوامها الملاحظة والتجربة العينية التي تقود على المعايرة والقيم التي يراعى فيها الضبط في نسبه إلى أعلى مستوى، مما يفضي إلى نتائج نسبة الخطأ فيها ضئيلة جدا.

تسعى البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى توخي الحقيقة في أدق تفاصيلها في دراسة الظواهر والأحداث الإنسانية، أن كانت هذه الأخير يصعب معها إلى الوصول إلى نتائج قطعية بحكم ارتباطها الوثيق بالنشاط الإنساني المرتبط بدوره بعوامل أخرى متحكمة في الحادثة، وبالتالي لا تقودنا إلى ضبطها في قوانين محددة ومعايير ثابتة، مما ينفي عنها في كثير من الأحيان حتمية الاستقراء وقطعية النتائج. إلى أن تطور البحوث العلمية جعل من فكرة استقلال علم وتخصص عن آخر من فكرة كلاسيكية تجاوزتها البحوث المتطور، فالبحث العلمي الجاد هو ذاك الذي يعتمد على أكثر من

منهج ويتعين في تحليلاته على مناهج مساعدة استمدها من علوم أخرى قد تكون بعيدة عنه إلى حد التنافر.

يعد البحث التاريخي في تطوراته أحد العلوم الإنسانية المنفتحة على علوم أخرى لتحليل الحادثة التاريخية وإعادة بعثها للوصول بها إلى تحليلات منطقية تتجاوب مع ظروف وقوعها، ومن ذلك المنهج الكمي، فبعد عصور من الاكتفاء بالمنهج الكيفي بالسرد والوصف، وهو ما نحاول توضيحه في هذه الورقة البحثية الموسومة: **المناهج المساعدة المنهج الإحصائي واليات استعماله في البحث التاريخي نموذجا**. وفي خضم ذلك نتساءل عن آليات توظيفه في البحث التاريخي دون أن يغير سياق الدراسة، وأهميته في الوصول إلى الحقيقة التاريخية واستحضار الماضي؟

و هو ما نحاول عرضه في هذه الورقة البحثية التي جاءت في النقاط الآتي ذكرها:

- تعريف المنهج الإحصائي.
- أهمية الإحصاء في البحوث العلمية التاريخية
- آليات توظيفه (نماذج عن دراسات)

أولا/ تعريف المنهج الإحصائي

التاريخ كما عرفه الأقدمون بأنه فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية[1]، يهتم بأحوال الماضين من الأمم، وربط المؤرخون قديما دراسة الماضي بأدوات وقواعد وشروط مرتبطة بالمؤرخ والحادثة.

يعد المنهج التاريخي أحد المناهج الهامة في العلوم الإنسانية من بين الأساليب والتقنيات المعتمدة في الوصول إلى الحقيقة التاريخية اعتمادا على مناهج عديدة كوصف الحادثة التاريخية، ومقارنتها والاستقراء وهي مناهج تقليدية. تستدعي الاستعانة بعلوم أخرى تعزز التفكير المنهجي. ومن بين

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار الفكر لنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003، ص.21.

ذلك المنهج الكمي، الذي اعتبر ثورة في التاريخ، وقفزة نوعية في التاريخ البشري لأثره كمنهج في العلوم الاقتصادية والعلوم الإنسانية والاجتماعية. اعتمادا على الإحصاءات والنسب والأرقام. وهو ما عبر عنه فرانسوا فوره: "التاريخ بالأرقام ثورة في فهم التاريخ"[1].

يختلف العدد والرقم عن الإحصاء في المفهوم، فإن كان العدد والرقم يعبر عن الكمية والمقدار، فإن الإحصاء هو معرفة المعدود وفهم كنهه، فهو عد الشيء وحفظه والإحاطة بعلمه، كما عرفه "ابن منظور" في مادة (حصى)، أحصى الشيء أحاط به والإحصاء العدُّ والحفظ وفي التنزيل: "**وأحصى كل شيء عددا**"، أي أحاط علمه سبحانه باستفاء عدد كل شيء.[2] وأحصيت أي عددته.

يتعدى المنهج الكمي في تسمياته رغم الفروق السابق ذكرها؛ إلى المنهج الإحصائي والعددي، كما سمي بالتاريخ الجدولي والتاريخ بالعدد[3].

وبذلك يعد المنهج الكمي في علم التاريخ من المناهج البحث العلمية الحديثة، تعتمد على أليات حديثة في التعامل مع الأحداث والظواهر التاريخية، تقوم على لغة الأرقام والإحصاء ، بتحويل المعطيات والمعلومات إلى بيانات رقمية، يتجاوز فيها الباحث السرد البيانات والتحليل

ثانيا/ أهمية المنهج الكمي في البحوث العلمية التاريخية

كان العدد والرقم من بين المباني التي غالبا ما ترافق الوثيقة التاريخية، وبذلك فإن اعتماد على المنهج الإحصائي لا يقتصر استعماله على التاريخ الحديث والمعاصر، الذي عايش مرحلة التطور الاقتصادي والصناعي ورافقها جداول وإحصاءات تواكب هذا التطور إذ يعتبر مظهر من مظاهر

[1] - عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ، الألفاظ**، ج1، المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص.134.

[2] - ابن منظور، **لسان العرب**، مج3، دار صادر، بيروت، لبنان، ص146.

[3] - عبد الله العروي، المرجع السابق، ص135.

المرحلة، خاصة بعد ولوج العلم لتقنية الحاسوب، لكن ذلك لا ينفي جعلها أحد مناهج المعالجة التاريخية للمرحلة الوسيطية.

إن الحديث عن المنهج الإحصائي يجرنا في سياق ذلك لدواعي استعماله، وما هي الإضافات التي يمكن أن تضيفها للبحث التاريخي؟

-المنهج الكمي في البحث التاريخي يتيح للمؤرخ والباحث الأكاديمي طرائق أكثر دقة في التحكم في المادة الخبرية وسرد الحقائق التاريخية، يقلل من التأويلات الشخصية

- يسمح استعمال المنهج الكمي ربط أجزاء الظاهرة التاريخية وتطورها وتتبع التغيرات التي تعرفها الظاهرة خلال فترة زمنية معينة.

-يعطي للمؤرخ مجالا أوفر للتحليل ويبعده عن رتابة سرد الأحداث. بأن تجنب البحث التاريخي الرتابة. وتنويع طرق وأساليب المعالجة التاريخية

تحتاج الكتابة التاريخية، كما العلوم الإنسانية والاجتماعية للانفتاح على العلوم الأخرى، فالحقيقة العلمية التاريخية يسعى الباحث فيها بشكل مستمر إلى تطور تقنيات بحثه ويكفها وفق ما تقتضيه التقنيات والتطورات التكنلوجية؛ فالأدوات الكمية والإحصائية وسائط حقيقية في بناء الجداول واحتساب الأرقام ومعرفة الأوزان والحجوم والأعداد[1] .

وبذلك فإن المنهج الكمي طريقة ضمن منهج عام يتم توظيفه بغية إضفاء الثبات والصدق والدقة على ما توصل إليه من نتائج. ويمكن التوصل إلى قوانين ونماذج نسبية، لا تصل في دقتها إلى قوانين العلوم الدقيقة.

[1]- للمزيد ينظر:

https://8043229-2788843531861808.preview.editmysite.com/uploads/8/0/4/3/8043229/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%85%D9%8A_____quantitative_history.pdf

ثالثا/ آليات توظيفه (نماذج عن دراسات):

إن توظيف المنهج الكمي في البحوث التاريخية، يتطلب في رأينا تقديم نموذج تطبيقي، يبسط أمامنا هذا المنهج، لذلك أرتأيت إختيار نموذج سبق لنا أن طبقناه في استحقاقات أكادمية سابقة، وهي مذكرة الماجستير التي كانت بعنوان: " مسألة التجنيس وموقف الجزائريين من 1919-1939" وقد ساقنا البحث في هذا الموضوع ذو الطبيعة القانونية التاريخية إلى جمع ليس المادة الخبرية فحسب وإنما إعطائها طابعا حيويا، تجنبت فيه في بعض الفصول رتابة السرد في كيفية حصول هؤلاء على الجنسية وشروط ذلك إلى لغة الأرقام بإحصاء أعداد المتجنسين وفق قانون 1919 خلال الفترة الممتدة ما بين (1919-1939) ومصدرنا في ذلك . Situation générale de l'Algérie وأيضا Annuaire statistique de l'Algérie التي تصدرها الإدارة الاستعمارية بشكل سنوي ترصد إحصاءات تخص الشؤون القانونية والاقتصادية والثقافية.

هذه الإحصاءات تم تجميعها في جدول حتى يسهل تحليلها ومقارنتها، وتتبع تطورها وفق إحداثيات الظروف الاستعمارية في الجزائر ومشاريع الإدارة الفرنسية

السنوات	الحاصلون على الجنسية كل سنة حسب قانون 1919	السنوات	الحاصلون على الجنسية كل سنة حسب قانون 1919
1919	13	1929	153
1920	39	1930	152
1921	55	1931	120
1922	67	1932	127
1923	28	1933	121

1924	92	1934	147
1925	55	1935	112
1926	62	1936	142
1927	121	1937	148
1928	87	1938	190
المجموع العام	**2131**		

الجدول كما هو مبين أتاح لنا إحصاء عدد المتجنسين سنويا، ومجموع عددهم خلال المدة الممتدة (1919-1939) مقارنته مع مجموع السكان المقدر بـ: (6201144) وأتاحت هذه المعطيات حساب النسبة المئوية 0.034%. ومقارنة هذه النسب في نفس الفترة مع الحاصلين عليها من الأجانب ما يزيد عن 16.000 أجنبي مقارنة مع عددهم الإجمالي الذي بلغ (946013) حسب إحصاء سنة 1938 .

ولتقريب هذه البيانات للصورة الذهنية تم تمثيل ذلك في دوائر نسبية.

نسبة المتجنسين مقارنة بمجموع السكان

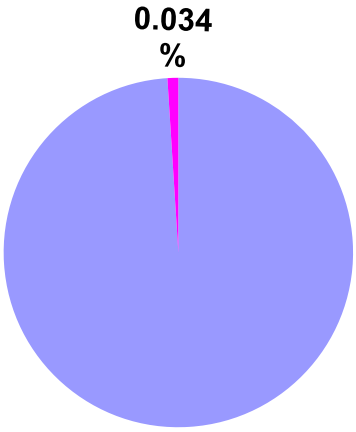

كما سمحت لنا البيانات التي تخص الحاصلين على التجنيس من الجزائريين، يمكن تمثيل هذه القيم في شكل منحنى بياني لتطور عدد المتجنسين مابين 1919-1939

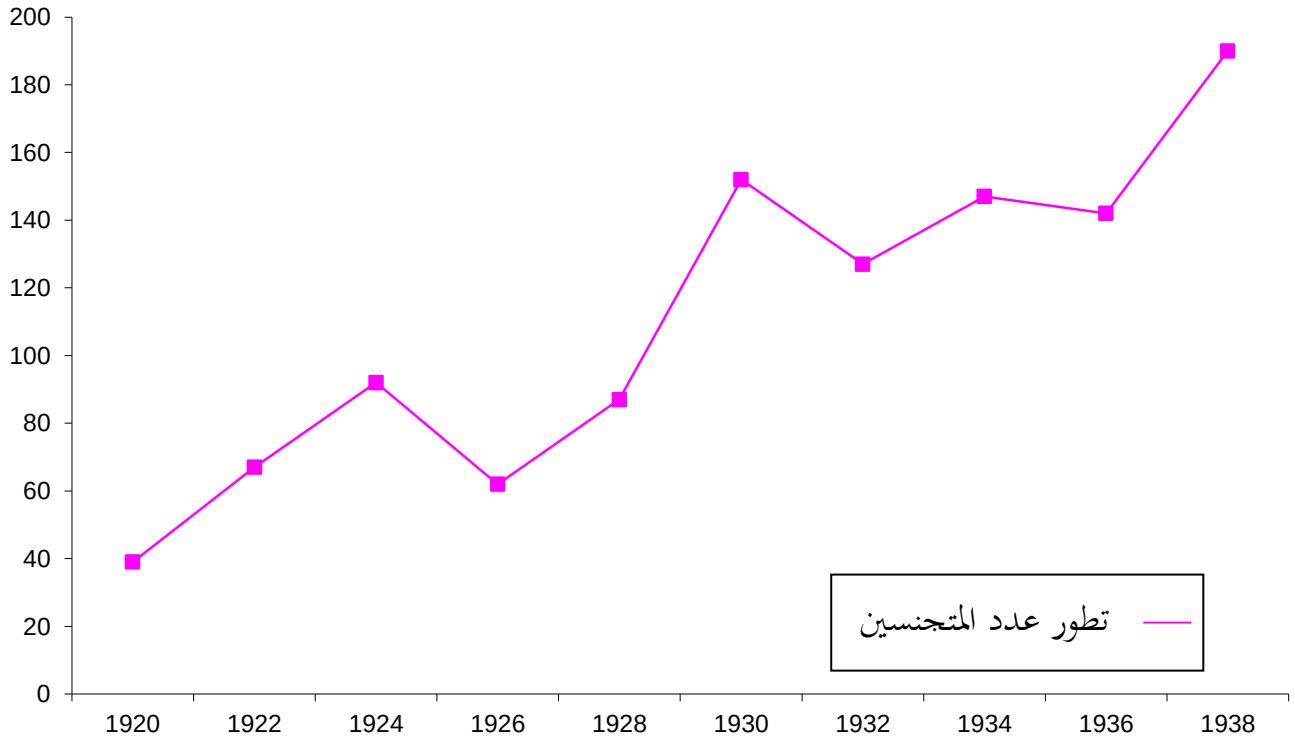

وعادة ما تتبع المنحنيات بقراءة التطورات المسجلة بربط تصاعد المنحنى وانخفاضه بالوضع العام.

كما يمكن يمكن استعمال المنهج الكمي وتمثيله في منحى مزدوج يسهل على الباحث عملية المقارنة. ومن ذلك النموذج المبين أدناه

الشكل رقم 02: منحنى بياني للحاصلين على المواطنة حسب قانوني 1919و1865

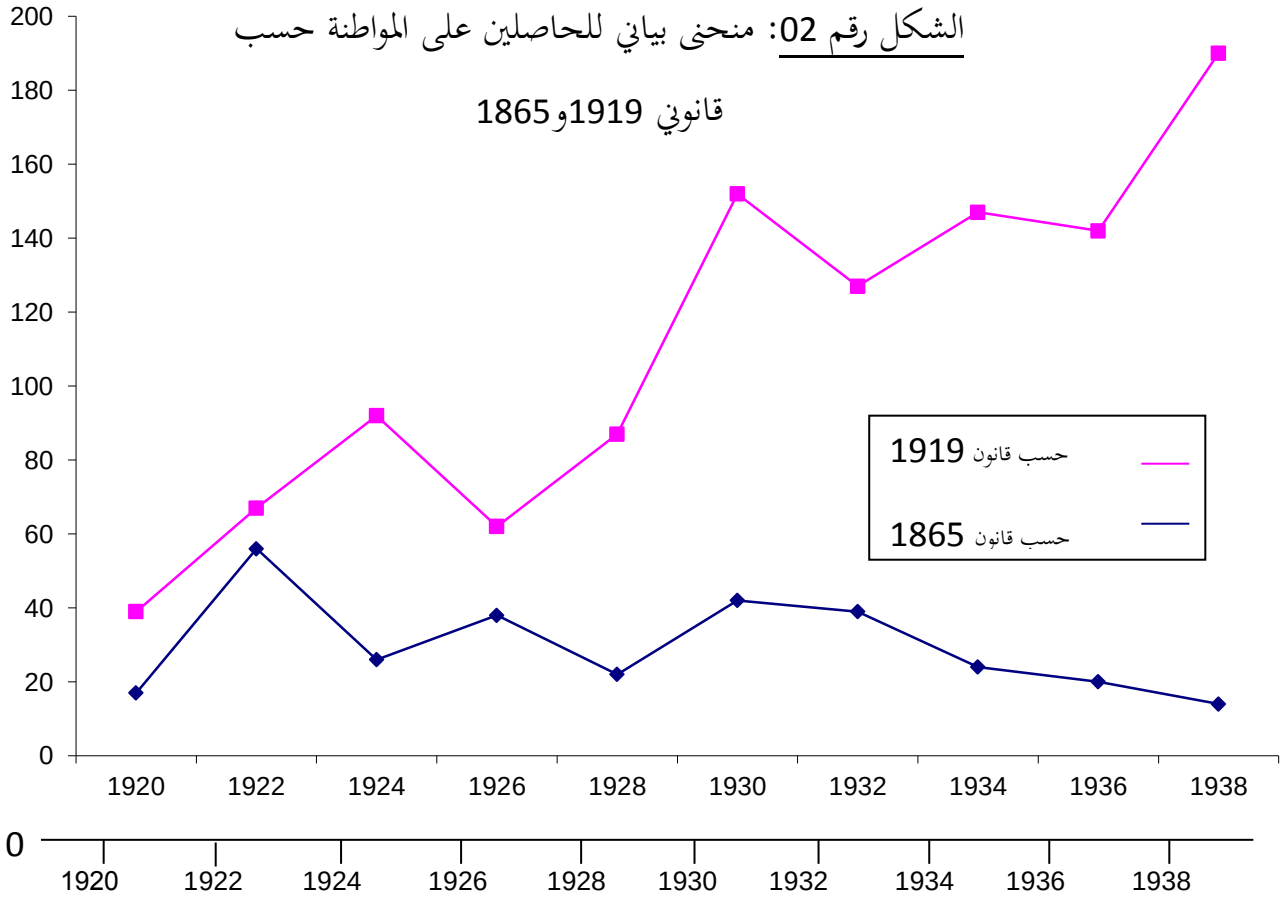

كما أن المنهج الكمي قد يقودنا إلى تفسيرات متعددة ومناقشة ظواهر أخرى، غير التي وضعت لها . فالسجلات التي دونت أعداد المتجنسين قد ميزت نوع جنسهم ومكانتهم الاجتماعية من خلال ماكان يشغله هؤلاء المتجنسين من وظائف. تتيح للباحث على إعطاء تفسيرات اجتماعية عن الوضع الذي آلت إليه الأسرة الجزائرية، حيث استطاعت قوانينها وسياستها الإذماجية جرها إلى التفكك واختراق أحوالها الشخصية.

لكن من ناحية أخرى، فإن هذه الإحصاءات سمحت لنا تقييم هذه السياسة ومدى تفاعل الجزائريين معها.

السنوات	النساء				الرجال				
	متزوجات	عازبات	أرامل	المجموع	متزوجون	عزاب	أرامل	مطلقون	المجموع
1919	5	1	–	6	6	5	–	–	11
1920	3	–	–	3	3	8	3	–	14
1921	4	1	1	6	5	10	–	1	16
1922	5	–	–	5	14	35	–	2	51
1924	5	–	–	5	5	14	–	2	21
1925	2	–	–	2	2	27	–	–	29
1926	4	–	–	4	4	30	–	–	34
1927	6	–	–	6	–	43	–	–	43
1928 =	–	2	–	2	3	7	–	–	20 =
1929	–	4	–	4	9	39	–	–	48
1930	–	4	–	4	11	31	–	–	42
1931	–	5	–	5	1	47	–	–	48
1932	–	5	–	5	3	22	–	–	25

27	-	-	27	-	2	-	2	-	1933
24	-	-	24	-	0	-	-	-	1934
19	-	-	18	1	1	-	1	-	1935
20	-	-	20	-	0	-	-	-	1936
9	-	-	9	-	1	-	1	-	1937
14	-	-	14	-	0	-	-	-	1938

وتتضح كل هذه الأرقام في دائرة نسبية بسيطة. ويمكن تمثيلها وجمعها في أشكال بيانية مختلفة. وقد دللت التقنية وتطورها أمام الباحثين الكثير من هذه الصعوبات بتجميع هذه المعطيات وادخال في برماجيات تتولى هذه المهمة.

نسبة المتجنسين من الرجال و النساء

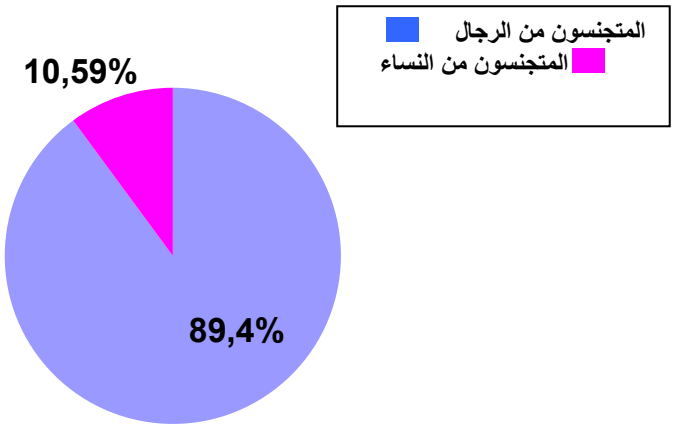

حيث تنوعت الوظائف والمهن التي مارسها المتجنسون، فحسب الإحصاءات الرسمية كان أغلب المتجنسين الأهالي من المثقفين عسكريين، وقد تجاهلت المصادر تصنيف الرتب التي بلغها المتجنسون، بينما طلب الالتحاق بالعائلة الفرنسية عدد قليل من المدنيين من ذوي الثقافة الفرنسية؛ كالعاملين في السكك الحديدية وبعض صغار الفلاحين خاصة في بلاد القبائل الأطباء بالإضافة إلى المدرسين خريجي المدارس الفرنسية، ففي سنة 1934 كان من بين (405) مدرس(110) متجنس أغلبهم يتطلع لتحسين أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية.

السنوات	العسكريون	المدنيون
1920	8	6
1921	11	5
1922	37	14
1924	21	-
1925	25	4
1926	29	5
1927	34	9
1928	16	4
1929	33	15
1930	26	16
1931	48	8

1932	25	9
1933	21	6
1934	24	-
1935	19	-
1936	20	-
1937	9	-
1938	14	-

نسبة المتجنسين حسب المهنة

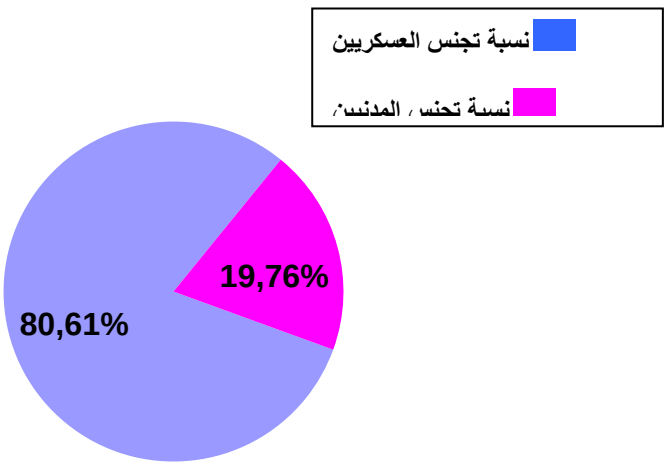

في الأخير نخلص، إلى أن المنهج الكمي من المناهج المساعدة في البحوث الإنسانية والاجتماعية بما في ذلك علم التاريخ، التي انفتحت على العلوم الدقيقة والتقنية، التي كان من ثمارها احداث دينامية في تفسير وتحليل الظواهر التاريخية، ومقارنتها.